أم مارية الأثرية
د. آلاء ممدوح محمود

ليدبروا آياته

المحور الثاني: مقومات استحقاق أمة الإسلام للخلافة والقوامة وفيه تمهيد وست مقاطع

تمهيد: وهو مدخل اعتقادي يربط المسلمين بالتوحيد وبيان أن الله وحده هو المتفرد بالتحليل والتحريم (163- 176).

علاقة هذا المقطع بالمقطع السابق

انتهى المقطع السابق بأن المؤمنين تبوأوا القبلة الوسط والشريعة الوسط.

وهذا المقطع يعتبر تمهيد للمسلمين بتلقي الأوامر والشرائع، ففيه تنبيه على التوحيد وأن المحلل والمشرع هو الله، فلايجوز التحليل والتحريم بالهوى.

كذلك آخر الآيات في المقطع السابق تبين حرمة كتمان الحق وبيان عاقبة من كتمه، وجاء هذا المقطع في بدايته يبين التوحيد ليدل على أن أول ما يجب إظهاره ولايجوز كتمانه هو التوحيد

المناسبة بين هذا المقطع ومحور السورة:

هذا المقطع يتكلم عن ضرورة الإيمان بتوحيد الله، وأنه المشرع، وبيان أن أهل الإيمان هم الذين نفذوا أوامر الله واجتبنوا ما حرم، لذا كانوا صالحين للإمامه والخلافة، وأن الخلافة سلبت من بني اسرائيل لنقضهم كل ذلك.

التفسير الإجمالى وترابط الآيات

{وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} (البقرة: 163)

كما اختتمت الآيات السابقة بحرمة كتمان الحق وبيان عاقبته باللعن، ابتدأت الآيات بتقرير وحدانية الله، وأنه المستحق للعبادة، ليبين أنه أول ما يجب اظهاره ولايجوز كتمانه هو التوحيد. يخبر تعالى - وهو أصدق القائلين - أنه {إِلَهٌ وَاحِدٌ} أي: متوحد منفرد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فليس له شريك في ذاته، ولا سمي له ولاشريك ولامعين، فإذا كان كذلك، فهو المستحق لأن يعبد وحده لاشريك له بجميع أنواع العبادة، لأنه {الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} المتصف بالرحمة العظيمة، التي لا يماثلها رحمة أحد، فقد وسعت كل شيء وعمت كل حي.

هداية .... وتدبر

وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ	التوكيد والتوثيق والتكرار والإعادة؛ لما في ضمنه من الأهمية. فهي أعظم كلمة، وأصدق كلمة، فلا إله إلا الله يرتفع بها العمل، فمن دونها لا تُقبل الأعمال، وبها يعصم المرء دمه وماله، فهي أول دعوة الرسل -عليهم الصلاة والسلام {أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}.
الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ	الله -تبارك وتعالى- رحيم بعباده، لا يخلو العبد في حال من أحواله من رحمة وألطاف من الله، ومهما حول العبد نظره فإنه يرى آثار هذه الرحمة، وقد قال بعض السلف: إذا أردت أن تعرف نعمة الله عليك، فأغمض عينيك، فكل ما بنا من خير وألطاف فهو من رحمته.
	هذا التعقيب بعد ذكر الإلهية: **أولا:** أن العبادات التي فرضها الله علينا رحمة بنا. الشريعة قائمة على التيسير، قال تعالى: "يريد الله بكم اليسر

ولايريد بكم العسر".
ثانيا: يُفيد أن هذا المعبود رحيم بعباده؛ وذلك يجذب النفوس إلى عبادته، فتُحبه، وتألهه القلوب، وكون القلوب تألهه، فالعلاقة بين العبد والرب ليست علاقة خوف، أو مجرد علاقة تعظيم، بل هو خوف وتعظيم وإجلال ومحبة ورجاء، فإذا تعرّف الله -تبارك وتعالى- لعبده بأنه هو الرحمن الرحيم، فذلك يستدعي محبتهم من جهة، ويستدعي رجاءهم، فلا يقنطون ولا ييئسون من رحمته، مهما تعاظمت ذنوبهم، فرحمته -تبارك وتعالى- أوسع، وإذا وقع بهم المكروه تذكروا أنه الرحيم، فحينما يمس الإنسان الضر، أو يقع له بلية ومصيبة ومكروه، يتذكر أنها جاءت من أرحم الراحمين، فإذا عرف هذا اطمئن، وسكنت نفسه، وعلم أن الله -تبارك وتعالى- لم يُرسل ذلك إليه ليكسره ويُهلكه، وإنما أرسل ذلك إليه ليرفعه وليُمحصه وليُطيبه وليُخلصه من الأكدار، فيصل إلى المنازل والدرجات العالية، التي لو اطلع عليها لعرف أن ذلك من النِعم التي ساقها الله إليه، فيتوكل عليه، ويثق به، ويحسن ظنه بربه.

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (البقرة: 164)}

"التفسير الإجمالي الموضوعي"

بعد أن بدأ الله بالتوحيد ثنى بالآيات الدالة على وحدانيته تعالى، في خلق السماوات بارتفاعها واتساعها، والأرض بجبالها وسهولها وبحارها وأنهارها وأشجارها، وفي اختلاف الليل والنهار من الطول والقِصر والظلمة والنور، والتعاقب، والسُفن الجارية في البحر كالجبال، تطفو على ماء البحر، وتجري فيه، وتنقل الناس والأثقال من أمتعتهم وتجاراتهم، وما إلى ذلك، والماء النازل من السماء، الذي تحصل به الحياة { فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} فتأخذ الأرض زينتها وحُلتها، وتكون بمنظر بهيج، بعد أن كانت قفرًا يابسة لانبات فيها فتتحول إلى مروج وأنهار، وهكذا أيضًا ما نشر فيها من أنواع الدواب الكبار والصغار فمنها: ما يأكلون من لحمه، ويشربون من دره، ومنها: ما يركبون، ومنها: ما هو ساع في مصالحهم وحراستهم، وفي {تَصْرِيفِ الرِّيَاحِ} باردة وحارة، وجنوبا وشمالا وشرقا ودبورا وبين ذلك، وتارة تثير السحاب، وتارة تؤلف بينه، وتارة تلقحه، وتارة تدره، وتارة تمزقه وتزيل ضرره، وتارة تكون رحمة، وتارة ترسل بالعذاب وفي تسخير السحاب بين السماء والأرض على خفته ولطافته يحمل الماء الكثير، فيسوقه الله إلى حيث شاء، فيحيي به البلاد والعباد، { لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} قال الشيخ السعدي: كلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات، وتغلغل فكره في بدائع المبتدعات، وازداد تأمله للصنعة وما أودع فيها من لطائف البر والحكمة، علم بذلك، أنها خلقت للحق وبالحق، وأنها صحائف آيات، وكتب دلالات، على ما أخبر به الله عن نفسه ووحدانيته، وما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر، وأنها مسخرات، ليس لها تدبير ولا استعصاء على مدبرها ومصرفها.
سبب نزولها: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَتَتْ قُرَيْشٌ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، إنا نُرِيدُ أَنْ تَدْعُوَ رَبَّكَ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا الصَّفَا ذَهَبًا فَنَشْتَرِيَ بِهِ

الْخَيْلَ وَالسِّلَاحَ، فَنُؤْمِنَ بِكَ وَنُقَاتِلَ مَعَكَ، قَالَ «أَوْثِقُوا لِي لَئِنْ دَعَوْتُ رَبِّي فَجَعَلَ لَكُمُ الصَّفَا ذَهَبًا لَتُؤْمِنُنَّ بِي» فَأَوْثَقُوا لَهُ، فَدَعَا رَبَّهُ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ قَدْ أَعْطَاهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا عَلَى أَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِكَ عَذَّبَهُمْ عَذَابًا لَمْ يُعَذِّبْهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، قَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «رَبِّ لَا بَلْ دَعْنِي وَقَوْمِي فَلَأَدْعُهُمْ يَوْمًا بِيَوْمٍ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ الْآيَةَ.

عَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ وَإِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ لَا إِلهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ [البقرة: 163] فَقَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ: كَيْفَ يَسَعُ النَّاسَ إِلَهٌ وَاحِدٌ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَي: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ إِلَى قَوْلِهِ: لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ فَبِهَذَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَأَنَّهُ إِلَهُ كُلِّ شَيْءٍ، وخالق كل شيء.

وفي قول عطاء أن الربط بين هذه الآية والتي قبلها أن خلق السماوات والأرض برهان ودليل على وحدانية الله.

هداية .... وتدبر

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ	هذه المخلوقات كلما تفكر فيها العبد، وتبصر ونظر وتغلغل فكره، وازداد تأمله فيها، وفي دقتها وصنعتها، وما أودع الله -تبارك وتعالى -فيها من العجائب والغرائب والحِكم الباهرة، فإنه يعلم أنها ما خُلقت عبثًا، بل أنها خُلقت بالحق وللحق، وقد نزّه نفسه -تبارك وتعالى- عن ذلك {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ} (سورة الدخان:38).
	إن للتوكيد للاهتمام بهذا الخبر، ولفت الأنظار إليه، فهو أمر جدير بالعناية. الترتيب في هذا السياق بين هذه المذكورات، فالله -تبارك وتعالى- بدأ أولاً بخلق السماوات والأرض، فهي أعظم هذه الأجرام، ثم ذكر بعد ذلك ما نشأ عن العالم العلوي {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ

	وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ}، ثم بعد ذلك ذكر ما نشأ عن العالم السُفلي وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ ثم جاء بعد ذلك بالمُشترك {وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ}، ثم ختم ذلك بما لا تتم النعمة إلا به. لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ	هؤلاء هم أصحاب العقول الكاملة حقيقة، أما الذي لا يعقل ذلك عن الله، ولا تدله هذه المخلوقات، وما يجري فيها من التصريف على وحدانية الله فإن ذلك لا يعقل، وإن كان من ذوي العلوم والمعارف الطبيعية، إلا أن هذه العلوم لا تنفع؛ لأنها لم تدل صاحبها على الله -تبارك وتعالى- فالعلم شيء، والعقل شيء آخر، فالله -تبارك وتعالى -جعل ذلك آيات لقوم يعقلون، وفي الآية الأخرى في سورة آل عمران: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} (سورة آل عمران:190، 191)، فهؤلاء هم أولو الألباب، لكن الذي لا يعرف ربه، ولا يذكر ربه، فهذا ليس من أولي الألباب، ولا يوصف بأنه من ذوي العقول الراجحات، وإن كان لديه علم.
	لما كانت هذه المشاهد مكرورة ومألوفة لدى الإنسان ربما لا يُلفت نظر الكثيرين، ولا يتفكرون فيها، وقد قال النبي في آية آل عمران : ويل لمن قرأها ولم يتفكر} ولو كان القلب وقادًا حيًا لصار الإنسان لا ينقضي عجبه، ولا يتوقف فكره من النظر، والتأمل فيها، لذا دعانا الله كثيرا إلى التفكر في ملكوت السماوات والأرض وقال تعالى: { *سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ* وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (فصلت: 53). ولذلك نجد أن الإنسان حينما يُشاهد بعض الأمور لأول وهلة بصورة مُكبرة مما لا تراه العيون المُجردة يندهش،

وحينما يرى بعض الكائنات في قعر البحار لأول مرة يندهش، ويبقى مُسبحًا لله إن كان من ذوي الألباب، ولكن بالنسبة لأولئك الذين يُشاهدونها منذ خروجهم إلى الدنيا لا تُلفت أنظارهم.	
جاءت الآيات مُنكرة للتفخيم والتعظيم كمًا وكيفًا، فهي آيات عظيمة كثيرة، لكن لمن يعقل، فهذا هو العلم الذي ينفع، لأنه يدل على الله -تبارك وتعالى- وهذا هو العقل الذي ينفع، لأنه يعتبر بكل ما حوله، ويتفكر فيما يُشاهده ويراه، بخلاف العقل المعيشي هو الذي يوجه إلى تحصيل المعايش التي ضمنها الله لعباده، فهذا يستوي فيها الإنسان مع البهائم، فهي لها عقل معيشي، تبحث عن أقواتها، ومقومات وجودها.	

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (165) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (166) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (167) }

"التفسير الإجمالي والموضوعي"

وما أحسن اتصال هذه الآية بما قبلها، فإنه تعالى، لما بين وحدانيته وأدلتها القاطعة، وبراهينها الساطعة الموصلة إلى علم اليقين، المزيلة لكل شك، ذكر هنا أن {مِنَ النَّاسِ} مع هذا البيان التام من يتخذ من المخلوقين أندادا لله أي: نظراء ومثلاء، يساويهم مع الله بالعبادة والمحبة، والتعظيم والطاعة، {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} **قال الشيخ السعدي** أي: من أهل الأنداد لأندادهم، لأنهم أخلصوا محبتهم له، وهؤلاء أشركوا بها، ولأنهم أحبوا من يستحق المحبة على الحقيقة، الذي محبته هي عين صلاح العبد وسعادته وفوزه، والمشركون أحبوا من لا يستحق من الحب شيئا، ومحبته عين شقاء العبد وفساده، وتشتت أمره.

تعقيب: هناك تفسير آخر للآية أي الذين ءامنوا يحبون الله أكثر من حب أهل الكفر لله لأن حب المؤمنين لله خالص لا يشوبه شيء؛ وحب هؤلاء لله مشترك: يحبون الله، ويجعلون معه الأصنام نداً، وهذا التفسير اختاره شيخ الإسلام بن تيمية وابن كثير.

<u>ومن كان بهذه الحالة - بعد إقامة الحجة</u>، وبيان التوحيد - علم أنه معاند لله، أو معرض عن تدبر آياته والتفكر في مخلوقاته، فليس له أدنى عذر في ذلك، بل قد حقت عليه كلمة العذاب، وسيعلم أن القوة لله جميعًا، ووقت العذاب سيبالغ المتبوعون في البراءة من أتباعهم وذلك بعد تقطع الأسباب والمودة لأنها كانت لغير الله، فبطلت الأعمال، ولما بطلت وقعت الحسرة بما فاتهم من الأمل فيها، فضرتهم غاية الضرر، وهذا بخلاف من تعلق بالله الملك الحق المبين، وأخلص العمل لوجهه، ورجا نفعه، فهذا قد وضع الحق في موضعه، فكانت أعماله حقا، لتعلقها بالحق، ففاز بنتيجة عمله، ووجد جزاءه عند ربه، غير منقطع كما قال تعالى: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نزل

عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ} .
وعندئذ يتمنى التابعون أن يردوا إلى الدنيا فيتبرأوا من متبوعيهم، بأن يتركوا الشرك بالله، ويقبلوا على إخلاص العمل لله، وهيهات، فات الأمر، وليس الوقت وقت إمهال وإنظار، ومع هذا، فهم كذبة، فلو ردوا لعادوا لما نهوا عنه.

هداية .... وتدبر

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ	الانحراف بالمحبة، حينما تتعاظم محبة المخلوق في القلب، _سواء كان زوجه أو ولد أو مال_ فإن هذا قد يُفضي إلى حال يُخل بالإيمان والإعتقاد ويصل إلى الشرك. لذا قال النبي { تعس عبد الدينار، والدرهم، والقطيفة، والخميصة}، وقد ذكر شيخ الإسلام -رحمه الله- أنه قد ينتهي النظر والمباشرة بالرجل إلى الشرك، واحتج بهذه الآية، وقال: ولهذا لا يكون عشق الصور إلا من ضعف محبة الله، وضعف الإيمان، والله تعالى إنما ذكره في القرآن عن امرأة العزيز المُشركة، وعن قوم لوط المشركين، يقول: والعاشق المُتيم يصير عبداً لمعشوقه، مُنقاداً له، أسير القلب له نسأل الله العافية وقد يُصاب الرجل في عقله بسبب العشق، وأحد هؤلاء رأى جارية، وكانت تسأل وتقول: أين الطريق إلى حمام منجابِ؟ قال: هذا، وأشار إلى بيته فدخلت، فلما علمت أنه خدعها، احتالت وطلبت منه أن يأتي بشيء من المُسكر، فخرج وترك الباب مفتوحًا، فخرجت بعده، فجاء فلم يجدها، فأُصيب في عقله، فكان يُردد في الطرقات: ورُب قائلة يومًا وقد تعبت .. أين الطريق إلى حمام منجابِ؟ فلما كان عند الاحتضار قيل له: يا فلان قل لا إله إلا الله، قال: هذه الأبيات. ومثل هذا حصل لأقوام ممن يتعلق بنوع من المال، كالذي

	يتعلق بالإبل ويُحبها محبة لا تصلح لشيء من هذا الحُطام، فلما كان عند الاحتضار، قيل له: يا فلان قل: لا إله إلا الله، قال كلمة: الحمض من الإبل والإبل من الحمض، كلمة يقولها أهل الإبل، الحمض نبت تُحبه الإبل، ويؤثر في لحمها وألبانها ، فهذا الرجل يقول مثل هذه الكلمة عند الاحتضار، وغير هذا كثير.
	استدل بهذه الآية شيخ الإسلام على أن من جعل ما لم يأمر الله -تبارك وتعالى- بمحبته وأضاف ذلك إلى الله، بأن الله أمر، أو شرع بأن يُحب، فإن هذا يكون مبدأ الإشراك. قيل لسُفيان بن عُيينة -رحمه الله: إن أهل الأهواء يُحبون ما ابتدعوه من أهوائهم حبًا شديدًا، فقال: أنسيت قوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ]سورة البقرة:165] وقوله :وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ]سورة البقرة:93[1] وكلمة أُشربوا : أي إذا كان القلب يُشرب محبة عجل معبود من دون الله باطل إلى هذا الحد، بحيث تتخلل محبته في القلوب، فالله أولى بأن يُحب محبة تتخلل القلوب.
وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ	مراجعة النفس، ومحاسبة العبد لنفسه؛ لئلا يطلع الله -تبارك وتعالى- في قلبه على خلاف ذلك، فلا يليق أن يكون في قلب المؤمن ما يتعلق به ويُحبه بحيث يُزاحم محبة الله -تبارك وتعالى- فهذا لا يليق، ولو أن العبد استشعر هذا لصار حب الله -تبارك وتعالى- فوق كل محبوب، ولصار أثر هذا الحب على جوارحه وحاله، فيُبادر إلى مرضاته وطاعته، ويلهج بذكره. ولهذا كان ابن المنكدر -رحمه الله- وهو من التابعين يقول: إني لأدخل في الليل فيهولني، فينقضي وما قضيت منه أربي . والآخر يقول: إني لأفرح بالظلام، يعني: من أجل الصلاة، وقيام الليل، ومناجاة الله
	بقدر الإيمان تكون المحبة، فإذا ازداد الإيمان ازدادت المحبة؛ لأن الحكم المعلق على وصف يزيد بزيادته، وينقص بنقصانه، أما التعلق بغير الله يكون في القلوب الفارغة، فإذا فرغ القلب وخلا من محبة الله، فإنه يمتلأ بمحبة غيره،

ويشتغل به، ويُقبل عليه. تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديعُ لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيعُ الإنسان إذا أحب امرأة أو ولد يسترخص المال وكل شيء في سبيل إسعاده، فإذا دخل سوق لا يُفكر إلا بالشيء الذي يشتريه لها، وإذا رأى شيئًا جميلاً أول من يُفكر فيه هو هذا المحبوب، أن يأخذ هذا الشيء، ولو يستدين أو يحتال على أموال الناس بشتى الطرق؛ ليأخذ هذا المال، ويشتري لهذا المحبوب، وأحيانًا بعضهم يلجأ إلى السرقة من أجل أن يأخذ هذا المال، ويُعطي لهذا المحبوب، فيبذل ويرى أن ذلك سهلاً رخيصًا في سبيل مرضاة المحبوب، وإسعاد المحبوب	